

سعد زغلول باشا

وحكمه فى مصر

بقلم الدكتور

ابراهيم زكى الساعى

نقلها الى الالمانية

الدكتور عبدالغفار الساعى

وقد تفضل بتوزيعها فى بلاد المانيا والنمسا وايطاليا حضرات أصحاب العزة
قناصل مصر فى برلين وفينا وتريستا وهمبورج

المطبعة التجارية الكبرى
[illegible]



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

اطلعت على هذه الرسالة الوطنية التاريخية النفيسة التي وضعها باللغة الالمانية حضرة صاحب العزة مواطننا الغيور الاستاذ الدكتور ابراهيم بك زكى الساعى طبيب الاسنان المعروف باسم « الزعيم سعد زغلول وحكمه فى مصر » ونشرها فى بلاد المانيا والنمسا خدمة للقضية المصرية وتبيانا لسمو مكانة الزعيم ، وعظمة نهضته الكبيرة ، فرأينا أن نطبعها على حدة ونذيعها فى هذه البلاد تكريماً لهذا العمل الوطنى الذى قام به الدكتور وتنويها بفضله وشكرا لمساعيه وثناءا على همته ، واستبساله فى خدمة البلاد ومقاومته لاولئك الزعانف المأجورين الذين اساءوا سمعة الوطن فى المانيا والنمسا ، وكانوا حربا للغاصب ضد وطنهم بما نشروه من سوء القول واتهام اشرف رأس عاملة فى البلاد بالخيانة . كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا

هـذا وقد رأينا أن نضم الى الرسالة اقوال الصحف العربية المصرية فيها ضاربين الصفح عما نشرته صحف المانيا والنمسا من الترحيب بها والاعجاب بزعيمنا الجليل واعماله الخالدة ـ التى لا يؤثر عليه القول الهراء ولا مر الافتراء

والله المسئول ان يوفقنا جميعا لتأييد الحق ونصرة الوطن

محمود رمزى نظيم

﴿ أقوال الصحف ﴾

قالت الاهرام الغراء فى عدد الجمعة ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٤

رسالة عن مصر

جاءنا ان حضرة الدكتـور ابراهيم زكى الساعى الذى ابحر مع دولة الرئيس الجليل الى فرنسا ثم واصل طريقه الى المانيا وضع رسالة سياسية عن القضية المصرية ووزع نسخاً منها على رئيسى جمهوريتى المـانيا والنمسا ووزرائهما واعضاء مجالس الشيوخ والنواب فيهما وعلى كثير من الطبقات العالية فى هاتين الجمهوريتـين لايقافهم على الحقائق التى يسيء سمعتها بعض اعداء مصر فى الخارج فـكان تأثير هذه الرسالة كبيرا فى نفوس القوم وفى جرائدهم ومنتدياتهم

وجاء بالمقطم الاغر فى عدد الاربعاء ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٤

عاد من برلين حضرة النطاسى البارع الدكتور ابراهيم زكى الساعى بعدما قام فيها شهرين وضع فيهما رسالة فى الحركة الوطنية المصرية وعظمة صاحب الدولة سعد باشا زغلول فترجمها حضرة شقيقه الدكتور عبدالغفار الساعى المقيم فى برلين الى الالمانيـة ووزعت على رئيسى جمهوريتى المانيا والنمسا وعلى وزرائهما واعضاء مجالس الشيوخ والنواب بهما وعلى عدد كبير من كبار القوم فى هاتين الجمهوريتين

وقالت جريدة كوكب الشرق الزاهره فى عددها الاول الصادر بتاريخ الاحد ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤

سعد زغلول باشا

شخصيته وصفاته

رسالة باللغة الالمانية

نشر حضرة وطنينا النشيط المقـدام ، الدكتور ابراهيم زكى الساعى رسالة

باللغة الالمانية عنوانها « سعد زغلول باشا » وطبعها فى المانيا على ورق صقيل طبعه متقنا ، ووزعها على ادارات الصحف وأعضاء المجالس النيابيه « والوزراء ، وذوى المكانة ، واختص جريدتنا « كوكب » بتعريبها التى تثبته من اليوم على التوالى »

وقالت جريدة النظام الغراء بتاريخ الاربعاء ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢٤

مجاهد مصري في برلين

يعرف المصريون جميعاً الدكتور ابراهيم بك زكى الساعى طبيب الاسنان فى مصر ويعرفون مكانته ومكانة الدكتور عبدالغفار الساعى فى اوروبا وخصوصا فى المانيا ولا يجهلون تلك المجهودات الكثيرة التى يبذلونها فى خدمة الوطن ومن ذلك رسالة سياسية قيمه وضعها الدكتور زكى ونقلها الى الالمانية الدكتور عبدالغفار ونشرت على المقامات العالية فى النمسا والمانيا وايطاليا ورؤساء الجمهوريات ومجالس الشيوخ والنواب ومضمون الرسالة أعمال الرئيس الجليل سعد باشا زغلول فى مصر وفى الخارج وايقاف الرأي العام فى اوروبا الوسطى على حقيقة الواقع ودحض المفتريات التى ينشرها عمال السوء فى بعض البلدان وقد قوبلت تلك الرسالة فى الاندية السياسية بالاكبار والاعجاب

فنحن نتقدم الى الدكتورين المحترمين بعاطر الثناء والشكر لهما على هذه الهمة راجين الله سبحانه وتعالى أن يكلل هذه المجهودات الوطنية بالنجاح .

وقالت بتاريخ الاربعاء ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٤

عودة طبيب

عاد من اوروبا حضرة صاحب العزة الاستاذ الدكتور ابراهيم بك زكى الساعى طبيب الاسنان المعروف بعد اذزار المانيا والنمسا وايطاليا ووقف على المستحدثات والمخترعات الفنية الطبية وجلب منها الكثير لعيادته ـ وبعد أن قام بمجهود كبير فى أوروبا الوسطى لتعزيز القضيه المصرية واذاعة المبادىء الشريفة مبادىء الزعيم

الكبير سعد زغلول باشا بتلك المحاضرة الغالية التى اذاعها باللغة الالمانية وشرح فيها أعمال الرئيس ومبادئه ومجهوداته لخدمة الوطن

فنرحب بعودة الدكتور الوطنى ونشكر له مجهوده الكبير فى خدمة الوطن العزيز

وقد نشرت صحف أخرى مالا يخرج عن هذا المعنى. فرأينا فى هذا الكفاية .

كلمة صاحب الرسالة

أتيح لى أثناء تجوالى فى أوربا الوسطى فى سياحتى هذا العام أن أذيع رسالة باللغة الالمانية عن أعمال حضرة صاحب الدولة زعيم مصر الاكبر سعد باشا زغلول بطل الجهاد الوطنى ومبعث النهضة القومية بعد أن رأيت أعداءه القلائل من نزلاء ألمانيا والنمسا يحاولون تشويه سمعته ، ويصورون أعماله فى صور شوهاء ويقلبون الحقائق الملموسة ، ويطمسون الشموس الساطعة ، وقد لقيت تلك الرسالة من نفوس كبار الالمان وساستهم ما ينقع غلة الصادى ، وكان لها أثرها الفعال من نفوسهم وفى صحافتهم وكانت بمثابة صفعة شديدة اذهلت أعداء الوطن الطائشين ، من الذين نبذتهم مصر ، فأعملوا أقلامهم الجامحة فى رمى نهضتها بما يستنكره الحق ، ورمى زعيمها بما يخالف الصدق

وقد حمدت الله كثيراً على ما قوبلت به رسالتى هناك وعقدت النية ما دام فى الاجل بقية على أن اجعل هذه عادتى فى سياحتى السنوية منتهزاً كل فرصة تسنح لخدمة هذه البلاد المقدسة التى أدين لها بكل شىء

وانى أخص بثنائى الاستاذ أبو الوفاء محمود رمزى نظيم لتفضله بطبع هذه الرسالة ونشرها بلغة البلاد لتنال نصيبها من رضاء أبناء الوطن وعطفهم والله الذى وفق سعدا للقيام بنهضته العالية يوفقنا لشد أزره والمناضلة دونه لانها فى اعتقادنا ذود عن حقوق الوطن المفدى

الدكتور ابراهيم زكى الساعى

الرسالة

كلمة صغيرة

من دواعي الغبطة لمصرى أن ينشر الحقائق السياسية عن بلاده ووطنه فى البلاد الجرمانية ، فى هذه البلاد العظيمة التى يحبها المصريون من صميم قلوبهم كما يحبون أوطانهم

يحبونها ويقدسون فيها النشاط ، والعمل ، والاختراع . يقدسـون فيها انها معلمة العالم الحديث ، وتهتز أعصابهم عند ما تسمع آذانهم صوت الانشودة الحقة « ألمانيا ألمانيا فوق الجميع فى العالم » .

اننا نحب ألمانيا لأنها بلاد الحقائق، بلاد الحياة ، بلاد العظمة الحقيقية وحينما تقع أعيننا على الألمانى نتمثل الشجاعة والصبر . نتمثل الرجل الكامل الرجولة

ونحن ما جئنا الى بلادكم وتحملنا مشقات البعد عن الوطن ، ومفارقة الأهل الا لأننا طلاب حياة ومجد نريد أن تكون مصر فى الشرق فوق الجميع لجئنا لنتعلم كيف نبنى صروح المجد من الأمة التى سبقتنا وسبقت الأمم جمعاء فشغلت هذا المركز العظيم من العالم

واذا مرت فترة يتألم فيها الألمان من موقفهم السياسى فما هى الا سحابة صيف فى سماء مصر لا تقيم الا دقائق وتنقشع ويعود الى السماء صفاؤها وبهاؤها

انشر أيها السادة هذه الرسالة فى بلادكم لا لأحدثكم عن عظمة بلادنا القديمة ولا عن أبى الهول الرابض فوق أطلال طيبة المفعم بالأسرار ، المحاط بالعجائب ، ولا عن الهرم الذى أبلى القرون ولم يزل يطاول السماء ، ويناطح السحاب، ولا عن الكرنك وبوابات الملوك ، ولا عن المدنية والحضارة القديمة ، ولا عن توت ـ عنخ ـ آمون وكنوزه ! !

وانما أنشرها لتقفوا على حقيقة مصر الفتاه ، مصر التى هبت لتبنى لها صرحاً من المجد فى القرن العشرين . واذا كانت الرجال عناوين شعوبهم وكان مقياس حياة الأمة فى نهضتها ما تنجب من شخصيات كبيرة فان مصر تقدم لنهضتها برهانا هو شخصية سعد زغلول

شخصية

﴿ سعد زغلول ﴾

تداولت ألسنة البرق منذ عام ١٩١٩ أى منذ الثورة المصرية اسم « سعد زغلول » فى انحاء العالم فاصبح علما على الثورة وقائدا لها . ولم يكن زغلول حديث عهد بالحركة الوطنية ، وانما كان البقية الباقيــة من ثورة النهضة الاولى المعروفة بالثورة العرابية التى أطفأها الانجليز بتدخلهم الشائن فى شؤون البلاد الداخلية

سجن سعد فى تلك الثورة وبقيت فى نفسه جراثيمها وعناصرها الحيــة ، وتكونت شخصيته البارزة ، وأخذ استعداده للزعامة ينمو شيئاً فشيئاً

كان سعد باشا كالمرجل الذى يغلى غيرة على مصالح الوطن وحريته ولـكنه كان يترقب فرصة البعث التى تقوم بها الأمة فتزلزل قدم الاسد البريطانى من أرض الفراعنة العظماء

وقد تقدم زعيم اليوم زعيمان آخران هما مصطفى باشا كامل وفريد بك فعمل كلاهما فى بناء النهضة الوطنية عملا يعد بحق أساس هذه النهضة الاخيرة وما زال كل منهما يبذل جهده ووقته وكل قوته فى سبيل المطلب الذى تنشده الأمة الآن حتى أضناهما الجهاد فماتا فى سبيله موت القادة الابطال

ثم جاء زغلول بدوره فلم تزعزعه العواصف التى ثبت لها ذانك الزعيمان ولم تنل منه قوة الاعداء التى احتملا اضطهادها حتى خرجا من هذه الدنيا

ظهرت شخصية ســعد العظيمة بارزة لحاربيا الانجليز بكل الوسائل من تهديد ووعيد واعتقال ونفى .. واستعانوا بقوتهم على اخماد حركته ولـكن الأمة قابلت قوتهم بالثبات والجهاد المشروع والالتفاف حول الزعيم الذى وثقت به

وظل سعد يكافح ويناضل وهو واثق بالنجاح فى النهاية لأن الأمــة لا تفرط فى شىء من حقوقها ولا تقف فى سبيل الجهاد للحصول عليها

أبو الهول

لم يخطىء الذين قالوا ان أبا الهول محاط بالأسرار والعجائب فقد ظهرت تلك الاسرار والعجائب فى شخص سعد زغلول ، ومن ينظر الى صورة أبى الهول والى شخص سعد زغلول يرى فيهما القوة والثبات والارادة

فقد كان أيها السادة من أكبر أسباب النجاح لسعد زغلول أنه رجل أنضجته الأيام وحنكته التجاريب ، وهذه العظمة تستند الى شيئين الاول قوة الارادة والثانى ثقته بنفسه

وليس هذا فقط مايمتاز به ولكنه يمتاز أيضاً بقوة العارضة والمقدرة الخطابية والذكاء الفطرى ووضع الاشياء فى موضعها

اجتمعت لسعد كل هذه المزايا والصفات فلم تزعزعه قوة الانجليز المسلحة ولا قوة الحكومة المسيرة بيد الغاصبين وقام بدعوته وهو أعزل فوقف مع الأمة أمام فوهات المدافع والرماح مشرعة والبنادق مسددة فلم تهتز شعرة فى بدنه

وبهذا الثبات أدركت انجلترا صاحبة الاساطيل والجيوش أن مصلحتها تقضى بأن تتقدم لمصالحته بعد أن رأت أن غطرستها لاتقهر قوة حقه ولا تزعزع قدمه

وبهذه الصفات استحق زغلول أن يكون زعيم الشعب ، وانك لترى خصوم سعد يحترمونه ويعترفون بمزاياه ومقدرته

زعامة سعد

وصل سعد الى كرسى الزعامة بحق فقد استكمل صفاتها وتوفرت له كل المؤهلات التى يكون بها الرجل زعيما وهو الآن يتكلم باسم مصر مستنداً الى ثقة نالها من الاغلبية. وينطق بلسان الشعب الذى اختارته أكثريته وعهدت اليه بالعمل فى دائرة استقلال وادى النيل كله ووقف الشعب من ورائه يقظا حريصاً يؤيده فيما يكفل له حقوقه ولا يضيع منها شيئاً

ولو شاء سعد فى ظروف كثيرة لاستطاع أن يؤجج البلاد ناراً ويقيم فيها ثورة لاقبل لأية قوة باخماد لهبها حتى تنال البلاد مطلبها الكامل وهو الاستقلال والحرية ولكنه رأى أن يضع اللين فى موضع الشدة عملا بالحزم وتوفيرا لما تجره الثورة على الناس من ارزاء وآلام

ومن هنا يظهر أن سعداً ينزل من الزعامة منزلة لم تتهيأ لغيره من الزعماء الآخرين

الأجانب والطوائف الوطنية

اشتهر المصريون من زمن بعيد بالكرم والسخاء وأصبح ذلك فيهم خلقا يعد من طبائعهم الغريزية ، فهم الوحيدون فى العالم الذين يرحبون بالنزلاء ويتفانون فى اكرامهم ويؤثرونهم على أنفسهم

وتعتنق الاكثرية فى مصر الدين المحمدى أما الاقلية فهى الطائفة القبطيه ثم الطائفة الاسرائيلية وكلتاهما تنال من المسلمين الكرامة والاحترام اللذين تقضى بهما تعاليم الدين الاسلامى

وقد كان مبدأ سياسة الانجليز فى مصر أثناء احتلالهم لها (فرق تسد). فكانوا يحاولون فى كل فرصة تطبيق هذا المبدأ واستثماره فى مصلحتهم الى أقصى حد وكانوا دائماً يبذرون الشقاق والتفريق بين الأجانب والوطنيين من جهة وبين المسلمين من أهل البلاد وغير المسلمين من جهة اخرى . وقد كان اهتمام سعد قبل كل شيء أن يقتلع من بين طوائف الأمة ما زرعه الانجليز من النفرة والشحناء ونجحت هذه الغاية نجاحاً عظيما بفضل ما فى نفوس المصريين من فطرة الوئام وعاطفة المودة وبفضل ما تشربه المسلمون من تعاليم دينهم القاضية باكرام أهل الاديان الاخرى واحترام أشخاصهم وشعائرهم

سعد فى رئاسة الوزارة

سعد أزهد الناس فى مناصب الحكومة ، وأبعدهم عن التطلع اليها وهو يرى

منزلته فى الامة أعظم من أى منصب حكومى مهما كان رفيعا ، فانه [illegible] بقوة الشعب الذى وثق به أن يسقط أية وزارة يرى سقوطها لا: [illegible]

وقد يقال واذن لماذا قبل الوزارة ؟

فنقول انه رأى ضعف الوزارات المصرية التى تقوم بالامر واستسلامها للانجليز وطاعتها لهم فى تنفيذ اوامرهم ، وهم لا يأمرون الا بما يضر البلاد وحريتها ورأى الادارة فاسدة بتأثير تسلط الانجليز عليها فى العهود الماضية ، ورأى جلالة مليك البلاد الغيور على وطنه واقفا يهدده الاعداء وهو لا يجد من وزرائه الا صمتا وجمودا ، ورأى كرامة الحكومة ساقطة ، ورأى الانجليز لا يوقرون رؤساءهم من المصريين ، ورأى أموال الامة مبددة فيما يريده الانجليز وينفذه لهم الضعفاء من المصريين ، ورأى الانجليز يفرقون بين الامة ومليكها

رأى سعد كل ذلك فاراد أن يضع حدا لهاته المفاسد وان يجمع قوة الامة ، ويقيم صفوفها ، ويحفظ كرامة الحكومة ويطهر اداراتها ويجمع الشعب حول العرش

ورأى ايضا انه من الوجهة الدستورية بالنسبة لنجاحه فى الانتخابات اصبح قائد الاغلبية فى البرلمان ـ رأى كل ذلك ـ فقبل الحكم . . .

قبل الحكم فوجد الارتباكات الكثيرة والتهاون الضار ، فاقدم على العمل ، وقبض بيديه الحديديتين على كل شىء فكانت تمر عليه الليالى المتتابعة لا يغمض له جفن ولا يذوق للراحة طعما ، وهو الشيخ الطاعن فى السن الذى جاوز السبعين عاما

تصوروا أيها السادة رجلا فى هذه السن مصابا بأمراض الشيخوخة وغيرها يقدم نفسه للمصلحة العامة ويقضى أوقات راحته فى مراجعة أعمال وزرائه الآخرين لتطمئن نفسه على تحرى الفائدة فيها وذلك فضلا عن اعباء منصبه التى ينوء بها الاقوياء من الرجال

وقف سعد يعلم ضعفاء العزائم معنى الهمة ويلقنهم الشرف والاباء الوطنى فى دروس عملية مجيدة سيذكرها له التاريخ

﴿ مسئولية سعد ﴾

والمسألة المصرية

ليست المسألة المصرية من المسائل الهينة ولكنها مسألة شديدة التعقيد كثيرة الاشكالات وقد تعترض طريقها عقبات متتابعة تقف في وجه السياسي المصري . ولكن الرجل صاحب العزم الحديدي قادر ان يذللها ومثل هذا الرجل نجده في شخص سعد زغلول الذي لا يعرف المستحيل

انظروا أيها السادة تجدوا ان المسألة المصرية ليست قاصرة على الاحتلال الاجنبي وحده وانما هناك مسائل تجرح عزة النفس المصرية ويجد المصري فيها أعظم الغضاضة لما تتضمنه من جرح كرامته في بلاده وتقييد حقوقه وحريته في وطنه كالامتيازات الاجنبية مثلا

وهناك أيضاً مسألة الدين والمحاكم المختلطة وغيرها مما يهين كرامة المصريين ويمس حريتهم واستقلالهم

واذا كنا نحن ننظر الى هذه المسائل بعين الاستكبار الذي يبعث على مايشبه اليأس فأن سعداً ينظر اليها بعين السياسي المجرب الذي يعرف كيف يعالجها ويخلص منها

﴿ صراحة سعد ﴾

لم يغفر خصوم سعد شيء كصراحته العظيمة فهو الرجل المعتز بالحق الذي لا يعرف المورابة ، وهو لا ينظر الا الى المصلحة الوطنية ولا يقصد بكل أفعاله واقواله الا منفعة البلاد

ولو كان سعد على غير هذه الصفات لما وقف في وجه الخديوي السابق ولما انضم الى جانب الملك فؤاد الاول الذي وضع يده في يد الشعب وجاهد معه لنيل الاستقلال

ولقد حاول القوم التفريق بين الامة ممثلة في سعد و بين العرش فسدى لهم

دولة محمد توفيق نسيم باشا الوزير الوطني المخلص فقرب بين الامة ومليكها وببركة مسعاه أصبحت الحكومة ممثلة فى سعد والامة ممثلة فى الوفد كتلة واحدة يجمعها العرش المصري في يد رئيس وزرائه سعد زغلول

﴿ خصوم سعد ﴾

خصوم سعد ثلاثة أقسام

القسم الاول . هم الانجليز الذى يصفهم بأنهم « خصوم شرفاء معقولون » وفى هذا الوصف حكمة سياسية بليغة ، وهؤلاء الانجليز قوم معروفون فلا حاجة بى الى شرح خصومتهم له فذلك مفهوم معلوم

القسم الثانى : الاحرار الدستوريون وهم حزب تكون برئاسة عدلى باشا وهو رجل يراه الشعب معتدلا قليل الصلابة اللازمة فى معترك الدفاع عن الحقوق الوطنية الخاصة باستقلال وادي النيل وحرية أهله

واذا وصفنا عدلى باشا بهـذه الصفة واظهرنا ان الشعب المصرى يراه فى هذه الصورة كان بديهيا ان الشعب يحكم بنفس هذا الحكم على جميع الاحرار الدستوريين المنضوين تحت رئاسة عدلى باشا

وقد يمكن الاستدلال على صحة هذا الرأى وعلى نسبته للشعب الى حد ما بفشلهم فى الانتخابات الماضية وذلك اذا قطعنا النظر عن تأثير الدعوة الواسعة التى قام بها الوفد المصرى لمرشحيه وعن تخبط الاحرار الدستوريين فى طرقهم التى اتخذوها لعمل الدعوة

القسم الثالث . رجال الحزب الوطنى وهم خصوم شرفاء لا يرمون الى غاية شخصية وخصوصاً فيما يتعلق بالمناصب الرئيسية كتأليف الوزارة مثلا وهم يجدون قبول هذا العمل الا اداموا متمسكين بمبادئهم التى تقضى عليهم ان لا يشتركوا مع الانجليز فى عمل الا بعد جلاء جنودهم عن البلاد ووجه خصومة هؤلاء لسعد باشا أنه فى رأيهم معتدل وان هناك حقوقا وطنية لا يريد ان يعترف بها ولا يدافع عنها ويمثلون بهذه

الحقوق الملحقات وهى بلاد من السودان اقتطع بعضها الانجليز لاتقسهم مثل اوغندا أو اعطوها الغيرهم خلسة مثل مصوع التى تحتلها ايطاليا وهم أيضاً يعتقدون ان مفاوضة الانجليز وجنودهم موجودة فى البلاد لا تؤدى مطلقا الى اتفاق تكون نتيجته الجلاء عن مصر والسودان ويعتبرون اصرار الانجليز على بقاء الاحتلال قبل المفاوضة واثنائها دليل على توفر سوء النية عندهم وما دام سوء النية سابقا للمفاوضات ومرافقا لها فلا فائدة فيها ولا خير من ورائها ولكن سعد باشا يقول ان الكلام فى الملحقات يزيد المسألة اشكالا ويضيف الى خصومة انجلترا خصومة أخرى مع بعض الدول وان المفاوضة ليست الا طريقا من طرق التفاهم مع الانجليز فاذا أدت المطلوب تركناها ورجعنا الى موقفنا الاول

هؤلاء أيها السادة هم خصوم سعد. أما السعديون فلا يزالون الى الآن يؤلفون الاكثرية فى البلاد

﴿ سعد فى الحكومة ﴾

لما تولى سعد رئاسة الحكومة وعد بأن يعمل لاصلاح مرافقها أينما وجدت داعية للاصلاح وقد بر بوعده فعهد الى زملائه الوزراء الحرص على هذا العمل بقدر الاستطاعة كل فيما يخصه فى دائرة وزارته وبذلك خلا من المسئولية واصبح الوزراء هم المسئولين عن وزاراتهم

وقد استبشر الموظفون خيرا يوم تولى سعد زمام الحكم فان له عندهم منزلة كبيرة حتى كان يوم اصابته بالرصاص يوما مشئوما عليهم لم يخفف وقعه الا علمهم بسلامته لانهم لم يذوقوا طعم الكرامة الا فى أيامه

﴿ سعد فى البرلمان ﴾

افتتح سعد البرلمان والقى خطبة العرش وتوالت الجلسات بعد ذلك فكان يأتى فيجلس بين زملائه النواب والشيوخ كنائب ديموقراطى لا كرئيس الحكومة

وكان يخاطبهم باعتبارهم زملاء ويناقشهم بهدوء فيما يعرض من المسائل العامة

وكان جريئاً فى تصريحاته عن السودان جراءة لم يستطع وزير ان يتفوه بها من قبل ولكن معارضيه كانوا يفهمون تصريحاته بغير ما يريده منها ويرتبون عليها نتائج لم يقصدها ولم يقصد ان تدل عليها الفاظه

وسعد فى رئاسة الوزارة كما هو فى زعامة الامة الوطنى المجاهد والحر الجرىء الذى لا يخضع لغير ما توحيه اليه نفسه وتتطلبه ارادته .وقد زاده قيامه بالحكم واجتماع القوة فى يده تمسكا بحقوق الامة واجتهادا فى الدفاع عنها

ولكنكم تعلمون انه مهما كان الرجل السياسى موثوقا به فى بلاده فانه لا يخلو من ان تكون هناك عقليات حادة تتأثر بغير الحقائق وترى فى الاقوال والافعال ما تظنه خطأ أو ضررا وما تعتقد أنه يؤدى الى تقهقر فى سبيل التقدم ورجوع الى الوراء فى طريق السير الى الامام

والراجح عندنا أيها السادة ان هذه العوامل هى أول المؤثرات فى وقوع الجناية التى سمعتم بوقوعها فى مصر على الرئيس والزعيم الكبير سعد زغلول

غير أننا لاجل ان نعطيكم فكرة صحيحة بقدر الامكان عن هذه الحادثة نصف لكم بالاجمال نفسية الامة المصرية الكريمه

﴿ الامة المصرية ﴾

ليست الامة المصرية أيها السادة هى اؤلئك المشعوذين من (الغجر) الرحل الذين يطوفون البلاد للارتزاق ويستقدمهم أصحاب المعارض عندكم ليعرضوا عليكم أمثلة من أعمالهم فى الشعوذة والرقص وركوب الجمال وأكل النار والثعابين ولاهي تلك الصور (والكارت بوستال) السخيف الذى يقال زورا وبهتانا انه يمثل مصر — كلا ! ! كلا : :

ان المصريين أيها السادة هم نسل أولئك الفراعنة الامجاد بناة الاهرام وأبى الهول ، واصحاب الآثار القديمة التى تتنافس الشعوب فى اقتنائها وتقيم لها اقساما

خاصة فى عاديّاتها ، وهم نسل العرب الذين تركوا من آثار المدنية والعلم مالا تزال أوربا تبنى عليه صروح مدنيتها الى الآن

مصريو اليوم هم الامة الفنية الناهضة المضطرمة ذكاء وفطنة وشجاعة وهمة — سلوا أيها السادة الجامعات العلمية والفنية تحدثكم عن ذكاء الطالب المصرى وفطنته التى يعمل الأنجليز للقضاء عليها

مصريو اليوم هم الامة التى قامت بثورتها السلمية عام ١٩١٩ وقررت أن تعيش حرة مستقلة تحت الشمس تقوم بين الامم بنصيبها فى بناء الحضارة ونشر المدنية أو تموت على بكرة أبيها ضحية للشرف الوطنى

هى الامة الراقية المتعلمة التى لا تقل عن أرقى الامم الغربية وطنية وحضارة . فهذه الامة المصرية لا يمكن بحال من الاحوال أن تكون فطرتها ملوثة بالميل الى الاجرام الدموى وليس معقولا أن تكون الحادثة التى وقعت باطلاق الرصاص على سعد زغلول مستندة الى ذلك الميل

﴿ يوم ١٣ يوليه ﴾

العدد ١٣ المشئوم فى بلاد الغرب والذى يعتقد الغربيون ان له تأثيراً فى كل حادث مروع قد شاء الله ان يمتد شؤم هذا العدد الى مصر وان يكون يوم ذكرى موجعة فى تاريخها

خرج الزعيم الكبير سعد زغلول من بيته يوم ١٣ يوليه سنة ١٩٢٤ يقصد الاسكندرية ليهنىء جلالة الملك فؤاد بالعيد الاضحى . وقد علم الشعب بسفر رئيسه فاجتمع لتوديعه على طول الطريق من بيته الى محطة القاهرة

وكان المودعون خليطاً من الوزراء والعظماء والنواب وكبار الموظفين والطلبة

﴿ صفاء قلب الرئيس ﴾

وصل الرئيس الى المحطة ونزل من سيارته وكأنما هداه احساسه الى ان أمراً

عظيما سيصيبه فانعكس فى مرآة قلبه صورة الحادث ويروى القريبون منه أنه تنفس الصعداء وقال على مسمع منهم « اللهم اكفنا شر انفسنا وشر الناس »

ودخل المحطة فتعالى الهتاف واشتد التصفيق وارتفعت الايدى بالتحية وكان دولته يرد تحيتهم بيديه وعلى ثغره ابتسامة حلوة . وهو آمن مطمئن لانه يعرف ان المحيطين به ابناؤه وأن المصرى يستحيل عليه أن يحدث نفسه ان يسئ الى سعد فى شخصه

وبينا الناس مسرورون برؤية الرئيس اذا بشاب منكود الحظ مختبل الاحساس ينقض على الرئيس ويرميه برصاصة سفه فيها الحلف الذى انحدرت فوهته ، واستقرت فى صدره وسال دمه غزيراً . وقبل ان يثنى الرمية كانت الايدى قد قبضت عليه

وساد الذعر بين الناس على حياة الرئيس ولكن الدهش من الحادث ملك نفوسهم فتسابقوا الى الجانى ينظرونه ليروا من هذا الذى اجترأ ان يرتكب هذا الجرم الفظيع . ولكن البوليس اركبه القطار الى شبرا التى تبعد عن محطة القاهرة عشر دقائق حتى لا تضيع معالم التحقيق

﴿ رباطة جأش سعد ﴾

لبث الرئيس دقيقتين شاخصاً الى السماء وقد اشتد نزيف الدم ولكن نفسه الكبيرة وشخصيته العظيمة أبت عليه الا أن يطمئن من حوله فقال : لا تخافوا انى بخير ، ولكننى أيها الاخوان ما كنت انتظر أن تقع علىّ هذه الجريمة من وطنى وفوق ارض الوطن !

حملت لدولته الاسعافات المعجلة وكانت سيدة اوروبية قد رأت الحادث فاقبلت تروح على وجهه بمروحتها وكانت تسأله عما يشعر به فشكرها باسما وقال لا شىء

وبعد أن حملت له الاسعافات الطبية أرادوا حمله الى عربة الاسعاف فأبى وطلب سيارته ثم مشى على قدميه حتى ركبها وكان يقول لمحدثيه « أنا لا اخاف الموت فلنمت نحن وليحيى الوطن »

﴿ سعد فى المستشفى ﴾

قبل أن اذكر لكم ماحدث بعد وصول دولته الى المستشفى اسمحوا لى بصفتى طبيباً مصرياً أن اقول لكم ان الدكتور على بك ابراهيم رامز من أشهر الجراحين المصريين وابرعهم وقد تلقى الطب فى المانيا . وهناك أقام لنفسه مستشفى على شاطىء النيل فى مكان طلق الهواء ومنظر من خير ماتقع عليه العين

فهذا المستشفى هو الذى وصل اليه دولته عقب الحادثة وهناك وافته زوجته وهى من خيرة النساء المصريات علماً وأدباً ومن أعرقهن عائلة فأبوها هو مصطفى فهمى باشا رئيس وزراء مصر سابقاً ، وزوجها سعد زغلول زعيم مصر الآن ، وقد عرفت بالشجاعة والاقدام وخصوصاً حينما نفى الانجليز زوجها واضطهدوها

فلما وقع نظرها على زوجها الجريح قابلته بشجاعة وأباء وقالت « تشجع ياسعد فهذا محسوب ضمن الجهاد للوطن »

وقد فعلت هذه الكلمة فعلها فى نفس الرئيس فقال : « تشجعى أنت فانى والحمد لله بخير » وقد لازمته فى غرفته هى ووصيفتها الالمانية التى تعلمها لغتكم الجميله ـ وسعد باشا نفسه مجتهد فى تعليم اللغة الالمانية وهو لا يخاطب ممرضته الا بها ، وبفضل العناية التى بذلها الاطباء المصريون والممرضات نجا سعد وشفى بأعجوبة فى ستة أيام

ومن مشاهير اطبائنا الذين كانوا يعالجون سعد طبيب الملك الخاص الدكتور محمد شاهين باشا والدكتــور حسن بك كامل وهو من ابطال الوطنية المصرية والدكتور ظيفل باشا حسن والدكتور محمود بك ماهر والدكتور نجيب بك اسكندر والدكتور عماره والدكتور بهجت وغيرهم من أشهر الاطباء النطاسيين المصريين

﴿ الذعر فى مدينة القاهرة والاقاليم ﴾

وماكاد ينتشر الخبر فى المدينة حتى بلغ الذعر اشده وامتلأت القلوب بالحزن

وكان اليوم التالى للاصابة العيد الاكبر عند المسلمين فابطلوا ما أعدوه للعيد وهرعت الجموع الى بيت الامة والى المستشفى لتطمئن على دولته. وكانت السيارات تحمل العظماء والكبراء وقد انطلقت الجماهير الى ناحيـة المستشفى تسأل عن حالة سعد ولم يمض ساعة بعد الحادث حتى كان حول المستشفى نحو خمسمائة سيارة وعربة ونحو عشرة آلاف نفس يسألون فى حزن وهم كيف حال سعد ؛

أما الاقاليم فيكفى أن أقول لكم انها ارسلت فى اليـوم الاول من الرسائل البرقية ماشغل ستة من الموظفين برئاسة سكرتير رئيس الوزراء فى فضها نحو الخمس ساعات وكلها استفهام عن الحالة للاطمئنان

﴿ استياء البلاد ﴾

حتى خصوم سعد

اكتسب سعد زغلول احترام العالم بجرأته ومقدرته وعرف بحكمته كيف يكتسب عطف الاجانب النزلاء بما يوجهه اليهم من الثناء وما يقدمه لهم من الرعاية وحسن المعاملة وما كاد البرق يحمل النبأ الى الخارج حتى أرسلت اليه مئات التلغرافات من رؤساء الجمهوريات والوزاراء والامراء والاوردات ورؤساء البرلمانات والجاليات الاجنبية فى مصر التى تقضى الاشهر الصيفية خارج البلاد

وكان الانزعاج والاسف يتمثل فى برقيات المصريين المقيمين فى الخارج للسياحة أو لطلب العلم

﴿ الصحف المحلية ﴾

أما الصحف فكانت الواحدة منها تخرج الملاحق متتابعة ليطمئن الشعب على حالة الرئيس الصحية والمصريون أيها السادة قوم أهل عواطف سريعو التأثر وان كانوا يضبطون عواطفهم فى كثير من الاحيان ويتمشون مع العقل والرزانة والصحف التى كانت شديدة المعارضة لسعد لم تستطع أن تكتم عطفها عليه .

ما تنطبع به مواطنيها وتحول اعتقادها لسياسته الى مقالات تستغرب الحماية ويلمس في صميم كيانها وما عنده ومن اسماء الرئيس وتحن لشفائه وسلامته "

واهتمت كذلك الصحف الاجنبية مع المحلية في هذا الشعور

﴿ جلالة الملك والملكة ﴾

وما بلغ مسامع جلالة الملك فؤاد الاول وجلالة الملكة النبأ المحزن حتى أمرا كبير الامناء بإعلان ايقاف تشريفات العيد الملكية وارسل جلالتهما التلغرافات لسعد وحرمه مملوءة بالعطف والتمنيات الطيبة واوفد جلالته كبير الامناء وطبيبه الخاص لابلاغ تحياته للرئيس وأمر طبيبه أن يلازمه ويشترك في معالجته

وقد كان لهذا العطف من جلالة الملك على زعيم الشعب تأثير كبير في نفوس الامة فرفعت البرقيات الى جلالته شاكرة داعية

﴿ مزاح سعد في المستشفى ﴾

أما سعد فكان يمازح زائريه من زملائه الوزراء واخصاء الزائرين ولما سأله الاطباء أن يحملوه الى غرفة الاشعة والرصاصة في صدره وذراعه جريح أبى الا أن يسير اليها على قدميه

ولما أرادوا اجراء العملية له قال ممازحاً : « انني كنت في حاجة الى الفصد ولا سيما بمناسبة اشتداد الحرارة فجزاكم الله عني خيراً »

وزاره طبيب معروف في القاهرة بسعة معلوماته وفضله واستماتته في الدفاع عن السودان واسمه الدكتور محجوب ثابت ـ كان لهذا الطبيب جواد عزيز عليه لقبته الصحف بالجواد مكمورين (رمزاً الى قلة أكله وكثرة حمله للدكتور اثناء تنقله في المدينة للقيام بالدعوة الوطنية)

فلما زار الدكتور الرئيس وكان جواده قد مات من اسبوع أخذ يمازحه ويعزيه فيه

ومثل هذا الشيء الكثير مما يدل على شجاعة سعد وصلابة عوده وانه الزعيم المصرى الحق الذى لا تخفى عليه خافية

﴿ خروج سعد ﴾

من المستشفى

مكث سعد ستة أيام فى المستشفى وما كاد يذاع نبأ خروجه حتى تبدل حزن المدينة فرحا واقيمت الزينات على طول الطريق ووقفت هيآت الشعب صفوفا وخرج دولته فى موكب محاط بالفرسان وخلفه صف طويل من السيارات والعربات وكان يقابل بالهتاف ويلقى عليه الازهار والورود ، والناس فرحون مستبشرون حتى وصل الى بيت الامة حيث اقيم سرادق كبير لاستقبال المهنئين وكان يوم فرح فى جميع البلاد المصرية

﴿ السفر الى أوروبا ﴾

ولما أراد سعد السفر الى الاسكندرية ليبحر منها الى أوروبا للاستشفاء كان وداعه يوم اطلاق الرصاص قاصرا على المحطة ـ أما اليوم فالمدائن كلها تودعه فى جميع طرقاتها ومحطاتها وعلى طول الطريق الى الاسكندرية

ولما وصل دولته الى الاسكندرية اشتدت الحماسة بالجماهير فلم يخل شارع من شوارع المدينة من جموع متدافقة وجماعات مزدحمة واعلام تتقدم المتظاهرين ولوحات مكتوب عليها اسماء الهيئات المختلفة ، لا فرق فى ذلك بين الوطنيين والاجانب وما اجمل مظهر الجميع : الاطفال ، والشبان ، والنساء والرجال الذين كانوا يهتفون من أعماق قلوبهم

(ليحيى الملك . ليحيى سعد . لتحيى مصر والسودان)

وفى مساء يوم السفر أقام لدولته أعضاء البرلمان حفلة وداع كانت آية الآيات وتليت خطب وقصائد كثيرة من كبار الوطنيين ثم قام دولته والقى كلمة بصوت

شجى رنان وقد جمع فى خطبــةصغيرة وصف الحادث وتأثيره والدرس الذى تعلمه منــه وتكلم عن الاستشفاء والمفاوضة وشكر عموم الاجانب على عطفهم عليه واثنى على الامــة المصرية جميعها ، وقد أثرت كلماته الجليلة فى النفوس تأثيراً كبيراً فقد كانت كل كلمة من كلماته منطوية على معان كبيرة مما يعز على غير خطيب الشرق « سعد زغلول »

***

هذا أيها السادة هو الزعيم المصرى وهذه مكانتــه فى بلاده ولن يمض زمن قليل حتى يسمع العالم ما يدهشهم من الآثار التى تتركها وطنية المصريين خالدة على وجه الدهر باقية مابقيت الارض والسماء وليس يتمنى المصريون شيئاً كما يتمنون أن تنجو الانسانية من شرور الطامعين وآثامهم وان يرفع الغاصبون أيديهم عن حقوق الأمم لتعيش الشعوب كلها مستظلة بظل السلام ، مرتبطة بعلائق الاخاء والوئام